

مفهوم الشعر في ضوء العقيدة

نصر الدين إبراهيم*

مقدمة:

يتناول هذا البحث "مفهوم الشعر في ضوء العقيدة"، وهي دراسة تقوم على منهج تحليلي، وصفي، تاريخي، هدفها الإسهام المتواضع في تتبع أثر الفكر الإسلامي الحديث في إسلامية الأدب، والوصول إلى مفهوم خاص للشعر ضمن الإطار الإسلامي، ثم مناقشة بعض القضايا الهامة المتعلقة بهذا الجانب مناقشة علمية.

ومن ثم جاء البحث متضمنا النقاط الآتية:

أولاً: العلاقة بين الشعر والعقيدة.

ثانياً: موقف الإسلام من الشعر.

ثالثاً: الذاتية الإسلامية.

رابعاً: قضية الالتزام في الشعر.

خامساً: النتائج والتوصيات.

سادساً: المصادر والمراجع.

أولاً: العلاقة بين الشعر والأدب

لاشك أن العلاقة بين العقيدة والأدب أو الشعر وطيدة جداً، ولم يحدث الإنفصام بين الدين والأدب^١ في الحضارة الأوروبية إلا في المراحل المتأخرة خصوصاً في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حين راح الإنسان الأوروبي يبحث عن بدائل للدين في الفلسفات البشرية التي اتجهت في أغلبها إلى الماديات، خاصة بعد الكشفوفات التي

*أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

١. د. حسام الخطيب، الأدب الأوروبي تطوره ونشأته ومدارسه (دمشق: مكتبة أطلس، ١٩٧٢م)، ص ٢١٥.

حقها العلم في هذا المجال؛ ومهما يكن من أمر فإن الأدب في هذين القرنين وإن كان قد انفصل عن الدين فإنه لم ينفصل عن معتقد أو عقيدة توجهه، أيا كانت هذه العقيدة وأيا كان مصدرها. والمتتبع للمذاهب الأوروبية ابتداءً من الكلاسيكية إلى آخر مذهب أدبي أو في في القرن العشرين، يجد أنها جمِيعاً قد صدرت عن معتقد أو مفهوم حيادي خاص، حتى ما سمي بمذهب الفن للفن الذي يدل ظاهر تسميته على أنه يعزل الأدب عن الحياة ومؤثراتها الفكرية، فإنه يعبر عن تصور ومنهج ومعتقد خاص بالحياة، ومن ثم الأدب نفسه.

أما الدين فإنه تصور شامل للكون والحياة والإنسان يعكس أثره على الفرد في سلوكه وتقافهه ويلونهما بلونه الخاص. ذلك الانعكاس قد يكون مباشراً ملمساً، كما أنه قد يكون خفياً لا تلحظه العين. فالدين إذاً هو القوة الحركية التي تصدر عنها نشاطات الإنسان وأعماله، وهو ضمير الأمة والجماعة التي تضمها بيئه معينة وترتبطها روابط متصلة.

أما الشعر فهو الوسيلة لتصوير أحاسيس الإنسان تجاه الطبيعة التي ولد وعاش فيها كما أنه وسيلة لتسجيل خواوفه ومباهجه في هذا الوسط، بالإضافة إلى أنه أداة التعبير عن موقفه من العلاقات الاجتماعية السائدة. إنك لا تجد جماعة بشرية إلا وقد عبرت عن أحاسيسها بطريقة ما تتناسب ووضع المجتمع سواء في حالة تطوره ونضجه أو في حالته الأولى عندما كانت البشرية في مراحلها الأولى يدرج فيها الإنسان بين الكهوف والغابات.

ولما كان الدين غريزة فطرية لصيقة بالكيان الإنساني فإنه يجيب عن تساؤلات الإنسان الكبرى، ويرسم تصوره للوجود، ويحدد له علاقته الإنسانية على تفاوت في طبيعة هذا الدين. لذا كان الشعر في المراحل الأولى من حياة الإنسان، هو الأداة المفضلة للتعبير عن تصوراته الدينية والاجتماعية، وهكذا كان العرب في جاهليتهم يعلقون أشعارهم على أستار الكعبة؛ بينما كانت الأصنام معقد آمالهم ورجاء نفوسهم تنتشر حول الكعبة، كما سجل ذلك الباحثون في تاريخ الأدب والشعر. ذلك يعني أن الشعر نشأ في أحضان العقيدة، فلا غرو إذاً أن يكون الكاهن أدبياً يتفنن في عرض سجعه وشحذ قريحته كما فعل خطيب العرب وشاعرهم "قس بن ساعدة الإيادى" ذلك الذي أصاخ إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته الورقاء.

كذلك مظاهر الدين في الحياة الأوروبية، وعلاقة ذلك بالأدب واضحة جداً، فالشاعر الإنجليزي (ت.س.إليوت)، والذي يمثل ظاهرة أدبية بارزة في الشعر الأوروبي

الحدث، يسجل للشعر قوته الروحية من خلال نتاجه الأدبي والذى تظهر فيه تلك القوة في أكثر من مظاهر، وخاصة الرموز الدينية، بالإضافة إلى أعماله النقدية التي تؤكد على أهمية التراث في العمل الأدبي، هذا التراث الذي يعتبر هضمه وغثائه من مظاهر العصرية الشعرية. ويمكن أن ننظر - على سبيل المثال - مقالته المشهورة (الأدب والدين) فضلاً عن نتاجه الشعري ذاته.^٢

ونجد كثيراً من الدراسات الأدبية تلتقي مع النظرة الدينية إلى النموذج البشري في الأدب؛ وهو اتجاه حرص فيه بعض النقاد والدارسين على بيان الصلة الوثيقة بين (التركيبة الشخصية) أو الذاتية التي عليها الإنسان و موقفه من الدين، وبين نوع وطبيعة هذا الدين. ومثل هذا ما دعا إليه موريس فريدمان في دراسته "اللقاء بين الدين والأدب"^٣، وطبقه في كتابه "لنفي عدمنا، نماذج الإنسان المعاصر".^٤

ولا نغالي إذا قلنا إن هذا الربط بين الدين والأدب يجد طريقه الآن بشكل تدرجي في روسيا بعد التحولات الجارية في المجتمع السوفياتي، بل إن ما حاوله (المستقبليون) من قطع كل صلة بالتراث الروسي، ومن جملته الدين، قد باء بالفشل واصطدم بالوحidan الشعبي، فارتدى الموجة، وظهر حيل جديد يؤمن بالتراث وقيمته.^٥

من هنا يأتي الفن ليتجاوز مع هذه الأصداء ويختضن القيم التي ينادي بها الدين، والفن في أعلى مراتبه وأمثل غاياته لا يطمح إلى أكثر من هذه القيم، وهو في الفترات التاريخية التي اقتربت من هذه القيم استطاع أن يحدث من التأثير في مظاهر الحياة وأعمق النفس، ما لم يستطعه في الفترات التي تحرك فيها بعيداً عن هذه القيم، ونستطيع أن نقول أنه قد سقط في الحضيض وساعد على إفساد المتعة والإحساس بروعة الحياة حين سار في طريق مضادة لهذه القيم الدينية.^٦

ويرى الأستاذ محمد قطب أن للعدل قيمة جمالية، وللحق قيمة جمالية، وللكرامة والشرف والوطن والحب قيمة جمالية كذلك، وهي قيم ربما تفوق قيم الجمال المادي

٢. أحمد كمال زكي، *شعراء السعودية المعاصرةون التأريخ والواقع* (الرياض: دار العلوم، ١٤٠٣هـ—١٩٨٢م)، ص ١١. وانظر: T.S. Eliot, *Selected Essays, Ancient & Modern*, London, 1936, p35-51.

٣ Maurice Friedman: "The Meeting of Religion and Literature Main Currents in Modern Thought". Vol.28, No.2 (1971).

٤ To Deny Our Nothingness, *Images of Contemporary Man*. London. V.G. LTD. 1961.

٥. د. بنت الشاطئ، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ط ١، ١٩٦٦م)، ص ١٨٣.

٦. نجيب الكنيلاني، *الإسلامية والمذاهب الأدبية* (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨١م)، ص ١٦.

البحث. وليس القبح من وجهة النظر الإسلامية، والأدب الإسلامي قبحاً مادياً مضاداً لقيم الجمال المادي، بل هو قبح القيم أيضاً، فالفحش السياسي والاقتصادي والرذيلة والزنا والكذب والغش والرياء والعدوان والظلم قيم قبيحة - إن صحّ اعتبارها قيمًا - يجتهد الإسلام والفن الإسلامي في محاربتها وتبسيط صورها وقلعها من الحياة، أو التخفيف من وجودها على الأقل، لأن وجودها في بعض الأحيان يساعد في البحث عن قيم الحق والخير والجمال، ويثبت لـ الإنسان إنسانيته الهدفية الباحثة والمسؤولة والمتنفسة في تجربة الصراع مع قوى الشر والباطل والقبح.^٧ هذا وقد قيل: "خير وسيلة لحق الباطل، هو التفنن في تمجيد الحق".^٨

ويرى بعض الباحثين في شؤون الفن والأدب، أن الفن لا بد أن يكون مثل الدين، قائماً على قواعد الأخلاق، يقول الكاتب الفرنسي (جوبي): "إن الروح الأخلاقية عند الفنان كعبقريته، يجب أن ينبعاً معاً وفي وقت واحد من أعماق طبيعته.. وإن الفن غير الأخلاقي هو على كل حال أحطّ مرتبة، حتى من وجهة النظر الفنية الخالصة".^٩

ويرى الدكتور شلتاغ عبود: "أن قضية الأخلاقية في الفن لا يقصد بها الوعظ والإرشاد المباشر، بل للفن أدواته التصويرية الخاصة في نقل الإحساس الأخلاقي وتعديقه في النفس الإنسانية. ولعله بسبب من هذا كان كتاب الإسلام الأول، يعمّق هذا الإحساس من خلال صوره الفنية وأساليبه النفسية المؤثرة وقصصه التي توحّي بالعبرة والهدف إيجاد شفافاً. وبهذا يكون الأدب الإسلامي قد مرّ هدفه الأخلاقي من خلال عالم ممتع وجميل، بعيداً عن الشعارات والدعوات المجردة، أو المفاهيم المباشرة".^{١٠}

أما عن الجدل الذي أثاره نفر من الباحثين، في أن الدين أو (الأيديولوجيا) تمثل نظاماً من المفاهيم والتصورات، أو موقفاً فكريًا محدداً، فهي إذاً محددة ومتعينة، في حين أن الأدب والفن بعامة طليق لا يمكن أن يكون محدوداً، بل هو متفرد على كل الحدود.^{١١}

نسى هؤلاء الباحثون أن القرآن بطبيعته متعدد، تستوعبه الأزمنة، والأمكنة، ومتطور بطبيعته مع تطور العصر والمكان، ويعبر عما في العصور من مستجدات، هذا إذاً أحسن الإنسان فهمه. والإسلام دين ودولة، فهو عقيدة ذات نظرية شمولية غير محددة بزمان أو

٧. الأستاذ محمد قطب، *منهج الفن الإسلامي* (بيروت: دار الشروق، ط٦، ١٩٨٣م)، ص٩٣.

٨. الأستاذ حسن الحسيني، "تغيرات فنية"، *مجلة التوحيد*، عدد ٣٢، ١٩٨٨م، ص١٦٣، عام ١٩٨٨.

٩. الأستاذ توفيق الحكيم، *فن الأدب* (القاهرة: مكتبة الآداب)، ص٧٥.

١٠. د. شلتاغ عبود، *الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي* (دمشق: دار المعرفة، ط١، ١٩٩٢م)، ص٤٧.

١١. د. عزالدين إسماعيل، *الشعر العربي المعاصر: قضيائاه وظواهره الفنية والمعوية* (دار العودة، ط٢، ١٩٨١م)، ص٣٧٧.

مكان، رسم فيها كل ما يستعين به الإنسان من زاد، وهو دين يدعو الإنسان للتي هي أقوم، ويعالج انحطاط البشر، والخراف النفس، بدعوته إلى الفضيلة والمحبة والسلام، فهو دعوة روحية شفافة ترقى بالبشرية وتسمو بها، وهذا هو المطلوب. والأدب ينبغي أن يكون كذلك يمعنى أنه يدعو إلى الفضيلة، وتهذيب النفوس. فبودلير مثلاً ينظر إلى الشعر على أنه نوع من الوعي الكوني العام، بل هو إدراك سماوي غيبي يحسه القلب.^{١٢} ويرى (ج. هـ. ميلر)، في بحث له بعنوان: "الأدب والدين"، أنه لا مجال للالتزام في الأدب أهم من مجال الدين والأخلاق.^{١٣} إن عباس محمود العقاد، ينظر إلى ذلك الحانب الروحي عندما ينشد قوله: والشعر من نفس الرحمن مقتبس والشاعر الفذ بين الناس رحمان.^{١٤}

وهكذا؛ فالعلاقة واضحة بين الدين والأدب، ولا تجد تنافراً كما حاول بعض الباحثين أن يشعر بعض القراء بذلك، بل إن الصلة بينهما وثيقة جداً، ذلك لأن رسالة الأدب تهذيب السلوك الإنساني.

ثانياً: موقف الإسلام من الشعر

تحدث تحت هذا العنوان حول ثلات نقاط مهمة جداً، تبلور هذه الفكرة وتوضّحها. حيث وقع اختلاف في هذه القضية بين بعض الباحثين، وحسبنا أن نجتهد فيما يمكن الاجتهد فيه بإذن الله تعالى حين نعرض لهذه القضية والله الموفق.

أولاً: موقف القرآن من الشعر:

لقد سمى القرآن الكريم سورة بأكمالها، بهذا الإسم (الشعراء) كذلك وردت فيه بعض الآيات التي تناولت هذه القضية، قضية الشعر والشعراء، وسوف نعرض لهذه الآيات، وتناولها بشيء من التفصيل:

قال الله تعالى في محكم تنزيله:

١- ﴿لَمْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلِيَا تَبِأَيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلَوْنَ﴾ (الأنبياء: ٥).

٢- ﴿وَالشَّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَاتَّصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَقْلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٤-٢٧).

12 Giles B. Gunn, *Literature and Religion* (Harper Forum Books, New York, 1971) p3.

13 Tennyson, G.B. and Ericson, Fr. E.E, eds, *Religion and Modern Literature, Essays in Theory and Criticism* (W.B.E Pub. Co, Michigan, 1975), P3.

١٤ د. زكي نجيب محمود، مع الشعراء (بيروت: دار الشروق، ط٣، ١٩٨٢م)، ص٥٧.

- ٣- **وَمَا عَلِمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ** (يس: ٦٩).
- ٤- **وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَنَارٌ كُوَا الْهَيَّاتِ لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ** (الصفات: ٣٦).
- ٥- **أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَصُ بِهِ رَبِّ الْمُنْوَنِ** (الطور: ٣٠).
- ٦- **وَمَا هُوَ بِقُولٍ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ** (الحاقة: ٤١).

فهذه الآيات مجتمعة - عدّا الآيات الواردة في آخر سورة الشعراء - إنما تشتمل على معنى عام واحد لا تفارق، وهو نفي صفة الشعر عن الرسول ﷺ، ونفي الشعر عمّا أوحاه الله إليه من آيات القرآن الكريم.

أما آيات سورة الشعراء - السالفة الذكر - فتدلل على ما اتصف به شعراء الإسلام من أخلاق، وصفات جميلة، وخلال حميدة دون كافة الشعراء. وهذا يدل على أن أهداف الشعر وغاياته ينبغي أن تكون نبيلة طيبة صالحة، يتلزم بها الإنسان أينما كان، لأن الأصل في الأدب والشعر خاصة التهذيب، أي تهذيب النفس البشرية، وبعد بها عن الفجور والفحشاء. وفي رأيي أن هذه الآيات من سورة الشعراء، قد رسمت بوضوح موقف القرآن من الشعر والشعراء، وهو موقف وإن أسهب فيه المفسرون لهذه الآيات الكريمة، إلا أنه واضح لا يكاد يتغير البة. فالقرآن لم يرفض الشعر، ولكن اشترط فيه التهذيب، والتوجيه الصالح الذي يفيد ويثر، وتكون غايته النفع والخير الذي يعم البشرية، ويصل الإنسان ببربه وحالقه، ويلفت نظره إلى التأمل في ذلك الكون الواسع. **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بِاطِلاً سُبِّحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** (آل عمران: ١٩١).

ثانياً: موقف الرسول ﷺ من الشعر:

غايتنا هنا أن نلخص موقف الرسول ﷺ، من الشعر بذكر بعض الأحاديث الصحيحة، التي وردت في هذا المجال؛ وهذه هي:
الحديث الأول: عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "إن من الشعر حكمة"^{١٥}.

وفي رواية أبي داود: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فجعل يتكلم بكلام، فقال رسول الله ﷺ: "إن من البيان سحراً، وإن من الشعر حكماً"^{١٦}.

^{١٥} رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب (١٠٧/٧)، وأبو داود في سننه، في كتاب الأدب برقم (٥٠١٠).
^{١٦} ابن الأثير، جامع الأصول، ت. عبد القادر الأرناؤوط، ١٦٤/٥.

إن التأمل في هذا الحديث الشريف، يدرك ثناء النبي ﷺ على الشعر، كما يشعر في المقابل بتوجيه رشيد لمضمون الشعر؛ فقد نبه عليه الصلاة والسلام المسلم إلى أهمية الشعر، وما فيه من قيم سامية، وأكَد عليه الصلاة والسلام قوله ذلك **بِمُؤْكِد لغويٍّ** هو: حرف التوكيد (إن)، وذلك حتى يزيد الأمر في النفس ثباتاً واستقراراً. ومن تدبّر الأشعار وقلب النظر فيها، يجد أن منها ما يحتوي على حكم صائبة، وعبر تركي النقوس، وتشحذ المهم، كما أن فيها ذكراً للخير وترغيباً فيه، وتعريضاً بالشر وتحذيراً منه، وذلك مما يرسخ المروءة، ويزكي الرحولة، ويجعل الفضيلة حية، والرذيلة منهزمة ميتة.^{١٧}

ومن ذلك نعلم؛ أن الأشعار الموافقة للحق، المحاربة للباطل والفسوق والرذيلة، هي التي يعنيها الرسول ﷺ في هذا الحديث، لأنها تفتح آفاق التأمل في هذا الكون الواسع، توصلنا إلى خالقه، وبأمره، الله سبحانه وتعالى. وأن كلماتها حكمة سديدة، ودعوة صائبة، وهكذا يتضح أن دور الشعر هام لا يستهان به، لما له من أثر على النفوس.

الحديث الثاني: روى أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "لأن يمتليء جوف أحدكم قيحاً. حتى يريه خير له من أن يمتليء شرعاً".^{١٨}

وقد اختلف كثير من العلماء في تأويل هذا الحديث؛ إلا أنهم يكادون يتفقون على أنه يندم الشعر ويقلل من شأنه. ولكن عندما نتذكر، ونربط المواقف المختلفة ببعضها نرى أن النم هنا ليس مطلقاً، وهذا ما يفسره الحديث الذي أوردهناه قبل قليل في مدح الشعر. هذا بالإضافة إلى أن الرسول ﷺ كان يستمع إلى الشعر، ويكافئ منشديه أمثال كعب بن زهير في لاميته المشهورة وعبد الله بن رواحة الذي يقول:

اللهم لو لا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا
 فأنزلن سكينة علينا
 وثبت الأقدام إن لاقيننا
 إن الأولى قد بغروا علينا أيننا^{١٩}

ومن هذا نخلص إلى أن، أن الشعر المنزوم، إنما هو ذلك الشعر الذي يتنافى مع مبادئ الإسلام، وإطاره العام والخاص، بالإضافة إلى أن كلمة الشعر في الحديث الشريف جاءت منكرة مما يدلّ على التخصيص، وليس الإطلاق.

١٧ ناصر بن عبد الرحمن، **اللتزام الإسلامي في الشعر**، ص ١١٩.

١٨ رواه البخاري في صحيحه (١٠٩٧)، في كتاب الأدب. ومسلم في صحيحه في الشعر برقم (٢٢٥٧). وأبو داود في سننه (برقم: ٥٠٠٩).

١٩ رواه البخاري في صحيحه، بباب الرجز في الحرب ورفع الصوت في حفر الخندق (٤/٤٧، ٥٢٥)، ورواه مسلم في الجهاد، برقم: ١٨٠٣، باب غزوة الخندق.

ثالثاً: موقف الخلفاء الراشدين من الشعر

١. سيدنا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه):

لم يرفض سيدنا أبو بكر الشعر، وقد قيل "إن أبا بكر رضي الله عنه، يقول الشعر".^{٢٠} وقد أثبتت له ابن إسحاق قصيدة في سرية عبيدة بن الحارث قال في مطلعها: "أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث أرقت وأمر في العشيرة حادث".

وإذا ثبت أن أبا بكر رضي الله عنه، قال الشعر في الجاهلية – كما يفهم من كلام عائشة رضي الله عنها، فليس ثمة ما يمنع الصديق من أن يُحرِّيَ على لسانه بيتاً أو أكثر بعد إسلامه، وبخاصة إذا توافر ما يحفزه على قول الشعر، ويكون ذلك مما غاب عن عائشة رضي الله عنها ولم يصل إليها، فلا يفترض في عائشة الإحاطة بجميع شؤون أبيها رضوان الله عليهما كذلك لا يفترض أن كل ما ورد عن الصديق قد علم ودون.^{٢١}

وقد بلغ من معرفة المسلمين بتذوق أبي بكر رضي الله عنه للشعر ورضاه عنه، أن كتب له بعض الشعراء - زمن الردة - أبياتاً يتبرأ فيها من ارتدى من قومه، ومن هؤلاء أمرو القيس بن عابس الكندي، فقد كتب يقول:

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً وبلغهـا جمـيع الـمـسلمـينـا
فـليـسـ بـجـاـورـاـ بـيـتـيـ بـيـوتـاـ بـماـ قـالـ النـبـيـ مـكـذـيـنـاـ^{٢٢}

فمن هنا يتضح موقف سيدنا أبي بكر في تأييد إنشاد الشعر و قوله، وكما ذكرنا فالآيات القرآنية قد حسمت هذه القضية، ومن ثم فلا حرج في إنشاد الشعر، ما دامت الغاية التي يرمي إليها صاحبها نبيلة، وأن الشعر نفسه يتلزم خط الإسلام ومنهجه.

٢. سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):

أما الخليفة الثاني فقد تواترت الأخبار عنه بإنشاد الشعر، وسماعه، ونقده. قال الأصمسي: "ماقطع عمر رضي الله عنه أمراً إلا قتله بيت من الشعر".^{٢٤} وذكر ابن رشيق القمياني عن عمر رضي الله عنه: "كان من أندى أهل زمانه للشعر، وأنفذهم فيه معرفة".^{٢٥}

٢٠ ابن رشيق القمياني، العمدة، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الجليل، ط٤، ١٩٧٢م)، ٣٢/١. وانظر: البلذري، أنساب الأشراف، تحقيق د. محمد حميد الله (جامعة الدول العربية: معهد المخطوطات) باشرتك مع (مصر: دار المعرفة، ١٩٥٩)، ١/١٩٣-١٩٢. ٥٩٢-١٩٣/١.

٢١ ابن هشام، المسيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وزميله (مصر: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٩٥٥م)، ٥٩٢/١. والدمايث: الرمال اللينة.

٢٢ الأستاذ ناصر الدين عبد الرحمن، الالتزام الإسلامي في الشعر، ص ١٥٧.

٢٣ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البخاري (القاهرة: دار نهضة مصر)، ١١٣/١.

٢٤ ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب (الناشر: محمد أمين الحاجي، ط١، ١٩٤٢هـ - ١٩٤٢م)، ص ١٨٦.

٢٥ ابن رشيق القمياني، العمدة، ٣٣/١.

ومذهب عمر واضح في قتله بالشعر، وحبّه له، حتى قال لابنه عبد الرحمن: "يا بني انساب نفسك وأمهاتك تصل رحمك، واحفظ محاسن الشعر يكثر أدبك، فإن من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه، ومن لم يعرف الشعر لم يؤد حقاً، ولم يقترب أدباً"^{٢٦}. ولذلك، فقد أرشد سيدنا عمر رعيته إلى تعلم الشعر حيث قال: "تعلموا الشعر، فإن فيه محاسن تبتغى، ومساوئ تتقى، وحكمة للحكماء، ويدل على مكارم الأخلاق"^{٢٧}. ولم يقف الأمر بسידنا عمر عند هذا الحد بل كثيراً ما كان يستمع إلى الشعر والشعراء، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر قال له: "أنشدني لشاعر الشعراء، فقلت من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير، أليس هو الذي يقول: إذا ابتدرت قيس بن غيلان غاية من المجد من يسبق إليها يسود الواقعه"^{٢٨}.

٣. سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه):

كان دور سيدنا عثمان كبيراً في تهذيب الشعر وتوجيهه للشعراء. وكما ذكرنا، فإن الشعر لا ينبغي أن يخرج عن حدود الإسلام، وعن الإطار الإسلامي الذي وضع له، ولو خرج فإنه ينبغي أن يهذب ويرجع به إلى إطاره الإسلامي مرة ثانية. كما فعل سيدنا عثمان مع ضابط بن الحارث الذي استعار كلباً من بعض بيتي حرونل بن نهشل يقال له (قرحان)، فطال مكثه عنده، فطلبوه فامتنع عليهم، فعرضوا له فأخذوه منه؛ فغضب ورمى أحدهم بالكلب في أبيات، منها قوله:

في راكبا إما عرضت فبلغن ثامة عني والأمور تدور
فأمامكم لا تزركوها وكلبكم فإن عقوق الوالدات كبير

فاستعدوا عليه عثمان. فقال: ويلك، ما سمعت أحداً رمى امرأة من المسلمين بكلب غيرك، وإنني لأراك لو كنت على عهد رسول الله ﷺ لأنزل فيك قرآن، ولو أحد قبلي قطع لسان شاعر في هجاء، لقطعت لسانك، فحبسه في السجن.^{٢٩}

^{٢٦} أبو زيد القرشي، *جهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام*، تحقيق د. محمد علي الهاشمي (السعوية: جنة البحوث والتأليف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ)، ١٥٨/١.

^{٢٧} علاء الدين الهندي، *كتزان العمال في سنن الأقوال والأفعال* (حلب: مكتبة التراث الإسلامي)، رقم ٨٩٤٥، ٨٥٥/٣.

^{٢٨} ابن الجوزي، *تاريخ عمر بن الخطاب*، ص ١٩٠.

^{٢٩} ابن سلام، *طبقات فحول الشعراء*، شرح محمود محمد شاكر (مطبعة المدنى)، ١٧٣/١. وانظر: ابن قبيبة، *الشعر والشعراء*، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر (مصر: دار المعارف، ١٩٦٦م)، ٣٥١-٣٥٠/١.

وهذه القصة توضح حرص سيدنا عثمان بن عفان على مكارم الأخلاق، وهذه رسالة الشعر فينبغي ألا ينحرف عن هذا الطريق أبداً، فإذا انقلب الشعر سلحاً يشهر في وجه فرد من المسلمين؛ فلا بد من تعديل هذا المسار، وتصحيح هذا الانحراف حتى يسير في خط الإسلام المستقيم ويلتزم بمنهجه القويم، وهذا ما فعله عثمان، والروايات التي تحكى عنه في هذا الشأن كثيرة جداً.

٤. سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه):

أما سيدنا علي رضي الله عنه فكان يقرض الشعر. وقد أورد ابن حجر في (فتح الباري)، ما نصّه: "هجا رهط من المشركين النبي ﷺ وأصحابه؛ فقال المهاجرون: يا رسول الله ألا تأمر عليناً فيهجو هؤلاء القوم؟ فقال: إن القوم الذين نصروا بأيديهم أحق أن ينصروا بآيديهم، فقالت الأنصار: أرادنا والله. فأرسلوا إلى حسان الخبر...".^{٣٠} وهذا الخبر يدل على تمكن سيدنا علي رضي الله عنه من زمام الشعر، فقد عرفه المهاجرون بذلك، وهذا أشاروا على الرسول ﷺ، بعلي ليناجز القوم بشعره.

بل فوق ذلك كان سيدنا علي يسمع الشعر، ويشيب على الجيد منه، فقد روى أن أعرابياً وقف عليه فقال: "إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك؛ فإن كنت قصيتكاً حمدت الله تعالى وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك، فقال له: خط حاجتك في الأرض، فإني أرى الضر عليك، فكتب الأعرابي على الأرض: (إني فقير)، فقال علي: يا قنبر، ادفع إليك حلتي الفلانية، فلما أخذها مثل بين يديه فقال: كسوتنى حلة تلبى محسنةها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا إن الشفاء ليحيى ذكر صاحبه كالغيث يحيى نداء السهل والجبلاء فكل عبد سيجري بالذى فعلا لا تزهد الدهر في عرف بدأت به

قال علي: يا قنبر، أعطه خمسين ديناراً، أما الحلقة فلم سألك، وأما الدنانير فلأدبك"^{٣١}. وهذا يدل على أن سيدنا علياً رضي الله عنه كان يستمع إلى الشعر، بل ويشيب عليه، إلا أنه كان ملتزماً بالإسلام والسنة في شأن الشعر والشعراء. وخلاصة الأمر في ذلك؛ أن الشعر الطيب الحسن، لم ينكره أهل العلم. ولم يقف

٣٠ ابن حجر العسقلاني، *فتح الباري* لشرح صحيح البخاري، تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف سعد، والسيد محمد عبد المعطي، ومصطفى محمد الهواري (شركة الطباعة الفنية المتحدة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)، ٣٥٣/٢٢.

٣١ ابن رشيق القمياني، *العمدة في محسن الشعر*، ٢٩/١.

الأمر عند هذا الحد، بل إن كبار الصحابة وغيرهم من أصحاب الرأي وموضع القدوة قالوا الشعر وتمثلوا به وأنصتوا إليه. فلعوا ذلك عندما توفر في الشعر التهذيب وحسن الخلق وعدم الخروج عن الإطار الذي ارتضاه الإسلام.

ثالثاً: الذاتية الإسلامية:

يفضل الدكتور محمد أحمد حمدون؛ مصطلح "الذاتية" في الدراسات الأدبية عن بقية المصطلحات الأخرى؛ مثل: "الهوية"، و"الآنية"، و"الشخصية".^{٣٢}

فمصطلح "الهوية"، يشيع لدى دارسي الفلسفة، بالرغم من اشتراك المصطلحين في المقابل الإنجليزي "Identity". كما يعد مصطلح الذاتية - من الجانب الأدبي - أدق من مصطلح "الآنية" الذي قد يستخدمه بعض النقاد، لأن "الآنية"، أقرب إلى النواحي النفسية، كما أنها أكثر التصاقاً بالجانب الفردي، وفيها أيضاً ملحوظ "الأنانية"، على حين نلاحظ في كلمة الذاتية الجانين الفردي والجمعي معاً. وفي نفس الوقت، تعتبر كلمة الذاتية أكثر وضوحاً في الوفاء بعرضنا من كلمة "الشخصية"، لأن هذه الأخيرة وإن كانت تأتي بمعنى "الذات" في الدراسات الأدبية، إلا أنها تأتي أيضاً بمعنى "النموذج البشري"، أو "الشخصية المبدعة"، في القصة أو المسرحية.. والمعنى الأول يصح في موضوعنا، أما الآخرين فلا.

إذاً نستخلص من هذه العجالة، أن "الذاتية" ليست الهوية، لأن في الهوية ملحوظاً فلسفياً. وليس "الآنية"، لأن الآنية مقصورة على الجانب الفردي. وليس "الشخصية"، لأن الشخصية قد تعني الذات المبدعة فيما فقط.

هذا، وترتکز معلم الذاتية على الأسس التالية:

١. الوعي الكوني الصادر عن عقيدة محددة.

٢. السلوك الجماعي المشترك بين جماعة بشرية والقائم على مجموعة من الأحكام والقوانين الفقهية والشرعية المميزة لهذه الجماعة.

٣. الشعور الفردي الخاص المرتبط بالوعي الكوني والسلوك الجماعي كليهما.

وبالطبع فإننا لا نعني الذاتية هنا بمفهومها المذهلي في الأدب والتي يقابلها المذهب الموضوعي الذي يصدر عن العالم الخارجي أو الذهن، وإنما ما يصدر عن كليهما، ولذلك فهي "تأثير متطلبات مضمونية معينة ومحددة، وتحدد خط تصاعد التكوين الفني واستمراره، مبرزة طرقه وأساليبه للوصول إلى عملية التحقيق الأدبي أو الفني".^{٣٣}

٣٢ د. محمد أحمد حمدون، نحو نظرية للأدب الإسلامي (جدة: دار المنهل، ط١، ١٩٨٦م)، ١١٩-١٢٤.

٣٣ د. كمال عيد، فلسفة الأدب والفن (ليبيا: الدار العربية، هـ١٣٨٩-١٩٧٨م)، ص ١٤٥.

وتنقسم الذاتية إلى قسمين كبارين، هما ذاتية الاتماء، وذاتية الوعي، وقد تناول - هذا الموضوع - كاتبان: الأول الكاتب الأمريكي (إريك إريكسون)، في كتابه "الذاتية والشباب والانهيار"^{٣٤}، ورأى إحاطة العناصر المكونة للذاتية، داخلية وخارجية، بما في ذلك عنصر الدين، وشمومها وسيطرتها على الفرد وسلوكه ونتاجه الفكري والفنى والأدبي.

أما الكاتب الثاني، فهو (آدم كيرل)، في كتابه "روحانيون وثوريون": دراسة في ذاتية الوعي والفعل الاجتماعي^{٣٥}. وترجع أهمية كتاب (كيرل) إلى أنه يربط تحليلاته بالواقع الإسلامي القديم والمعاصر ويستمد نماذجه وأمثلته من هذا الواقع، من ناحية، كما أنه يفرق بين "ذاتية الاتماء" و"ذاتية الوعي"؛ هذا وقد جاء حديثه كما يلي:

أولاً: ذاتية الاتماء

وهي كل ما ينتمي إلى الشخص، أو ينتمي الشخص إليه.. وبذلك نشعر فيها بمعنى التملك أو التمازج والتآلف، فهي مجموعة الارتباطات المتعلقة بأشياء مادية ومعنوية على حد سواء. هذه الأشياء وإن لم تكن مملوكة لنا كأشخاص - بالمعنى القانوني أو الفقهي للملكية - إلا أنها نشعر بها ونتحدث عنها دائمًا على أنها لنا، بمعنى أننا نملكها ونعملكنا.. نحرص عليها.. ندافع عنها.. وقد نموت في سبيلها.

هذا النوع من الملكية والاتماء، يشمل كل مكونات التراث الإسلامي، وكل ما يتصل بذات الشاعر المسلم: العقيدة، والرسول ﷺ، والقرآن الكريم.. الصحابة والخلفاء الراشدين والتاريخ.. المعارك، والمعاهد، والكتب.. الأسماء والأعلام.. طرائق المعاش.. حكمه آياتنا.. حلم أطفالنا.. أمانيتنا.. آمالنا.. حراحتنا.. همومنا.. عذابنا.. قضائانا.. كل شيء.. مادة كان أم جوهرا. وقد تسع ذاتية الاتماء وتس矛 فتشمل العرض والجوهر، المادي والروحي، المحسوس وما استقر في الوجود دون شعور مباشر به. ولكنها أيضًا قد تضيق وتُفسِّر إلى حد الارتباط بالأشكال الفارغة، والمظاهر المادية أو المحسوسة فقط.

ثانياً: ذاتية الوعي

وهي صفة يملكونها الجميع، لكن لا يستطيع أن يعبر عنها سوى الندرة، وهي ليست صفة آلية كامنة في الشعور، وإنما هي نتيجة جهد موجه ذي غاية، فيه تخلو أذهاننا من جميع الارتباطات والاتماءات، فنرى ب بصيرة أكثر نفاذًا، ونحس بعواطف أشد افتعالاً، ونفكّر بعقل أبعد تأثيراً. فالذاتية الإسلامية على هذا النحو أشبه بلحظات التنوير

34 Eric Erikson, *Identity: Youth and Crisis*, New York, Norton, 1986.

35 Adam Curle, *Mystics and Militants a Study of Awareness Identity and Social Action*, Tavistock, London, 1972.

والإشراف التي تعتري النفوس حين تتوله بحب الله فترى بنوره وتتجدد عن كل ما يشغلها عن عالمه العلوي المنزه.. إنها (القداحة)، تبعث الشرارة فتلهم الشاعر أو الأديب المسلم.. وهي النهر المتذبذب الذي تتدفق معه موهبته وفنه.^{٣٦}

فالشاعر والأديب لا بد له من إدراك هذه المعاني، إذا أراد أن ينشد أدبا إسلامياً مبدعاً متعددًا، يواكب العصر، والحضارة الإنسانية، ويخلق في عالم جديد، يشده الإحساس الروحي براحة النفس والذات.

ويرى الدكتور محمد أحمد حمدون: "إن إدراك وتفصيل وتحليل هذين النوعين من الذاتية هو من عمل الناقد، إلا أن الشاعر قد يتبنّيه له أحياناً. ها هو ذا محمد حسن عواد في قصيده (علي بن أبي طالب)، خارج نطاق التشيع، يصرّح بمحبه للفتى (علي)، ولكنه ليس حب الانتقام، ولا حب الولاء المعروف عند الشيعة، إنما هو الحب لنموذج إنساني رائع في تراثنا نملكه ونملكونا. أما إذا كان ولا بد من انتقام: فإني امرؤ لست بالشتمي بديهي إلى أحد في الوجود

هكذا يصرّح الشاعر، ثم يواصل:

تسامي فكان الرسول الحميد	سوى بشر فوق هذا السورى
شفيف الخلائق يوم اللقاء	رسول المهدى العالمى العظيم
مدى الحب للمتمميين سواء	محمد المتنبى عنده

وبتضييقه لدائرة الانتقام لمحمد وحده ﷺ، يوسع عواد دائرة وعيه. إذ العلاقة بين الدائرين علاقة مدّ وجزر، تمتّد إدراهما فتحسّر الأخرى. ومن ثم يصبح حب عواد على بن أبي طالب حباً للقيم المتمثلة في شخصه، والممثلة للذات الإسلامية التي ينشدتها الشاعر، حباً لأدب (علي)، لرجولته، للتقي، لفصاحته، لمعرفة العدل، لطيب السريرة، لحرية الفكر، للمكرمات، لمعرفة الفضل عند أهله، للتضحية، للزهد، لرشد البصيرة، لصدق العزيمة.. وبين الانتقام والوعي يتذبذب العطاء الشعري^{٣٧}.

وإذا كان لنا اختيار آخر يعبر عن وعي الشاعر، وانتقامه العميق إلى الإسلام، دون مذهبية أو تعصب، أو تشيع، وإنما نظرة موضوعية، تعبّر عمّا يحسّه الشاعر من خلجان نفسية تعتريه ساعات الإبداع الفني، والفن المبدع؛ فعليها أن تقف قليلاً، تتفكر في تلك المعاني التي أنشأها أمير الشعراء أحمد شوقي، في قصيده العصماء (نهج البردة)، التي مطلعها:

٣٦ المرجع السابق، ص ٢٦-٣٢.

٣٧ د. محمد أحمد حمدون، نحو نظرية للأدب الإسلامي، ص ١٢٤.

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم^{٣٨}

ثم يقف في وصف الرسول ﷺ، منشداً:
محمد صفوة الباري ورحمته
سناؤه وسناء الشمس طالعة
وبغية الله من خلق ومن نسم^{٣٩}
فالجرم في فلك والضوء في علم^{٤٠}

ثم، يؤكّد محبّة الرسول ﷺ، التي شاعت بين البرية، فيقول:
محبّة لرسول الله أشرّ بها
قائد الدير والرهبان في القمم^{٤١}

ثم يؤكّد أن خطاب الله تعالى له بالقراءة، لم يتنزل على بشر قبله.
ونودي اقرأً تعالى الله قائلها
هناك أذن لرحمن فامتلأت
لم تصل قبل من قيلت له بضم^{٤٢}
أساع مكة من قدسيّة النغم^{٤٣}
وما الأمين على قول عتهم^{٤٤}
لقتموه أمين القوم في صغر

ثم يكشف عن فصاحته وبلاعنه فيقول:
يا أفعص الناطقين الضاد قاطبة
حديثك الشهد عند الذائق الفهم^{٤٥}
تحيي القلوب وتحيي ميت الهم^{٤٦}
 بكل قول كريم أنت قائله

٣٨ المعنى: إن المحبوبة الساغنة في ذلك الموضع، كأنها الطبي في حسنها ورشاقتها، قد قتلته صباها بها ووها عليها، وأسرفت عليه حتى أنها استحلت دمه في الشهور التي تحقّق فيها الدماء وغنم فيها القتال، حتى بين المترور والواتر، ويعشي فيها السلم بين المثور له والثائر. انظر: أمير الشعراء، نهج البردة (القاهرة: المطبعة الموزجية، ومكتبة الآداب ومطبعتها بالجامع)، ص ١١.
٣٩ المعنى: إن محمداً ﷺ أصطفاه الخالق من خلقه، وهو خير البرية وأفضل الناس أجمعين. انظر: المرجم السابقي.
٤٠ المعنى: لعن كانت الحقيقة الحمدية قد سمت على جميع العالم، وعلت على كل الكائنات، فإن نوره رَبُّ الْأَوَّلِ عم البرايا جماعه، وشاع في الأرض والسماء، كما يتصل نور الشمس بأفاق هذا العالم السفلي وجسمها حار في مذهبها الرفيع.
سابع في فلكها العلوي، بل إن حقيقته رَبُّ الْآخِرِ أسمى وأرفع، ونوره أعمّ وأفعم.
٤١ المعنى: إن محبته رَبُّ الْأَوَّلِ قد شاعت في قلوب أحلاس الأديار من متسلكي الصارى ورهانهم المنقطعين في رؤوس الجبال للتنبل والعبادة.

٤٢ المعنى: إن خطاب الله لنبيه ﷺ بقوله (إقرأ باسم ربك) لم يتنزل على بشر قبله، ولم يجر به فم إنسان قبل أن يوحى إليه رَبُّ الْأَوَّلِ، وإن خطب الأنبياء قبله بغير هذا الخطاب، كخطاب الله تعالى لموسى عليه السلام: (خذ ما أتيتك وكن من الشاكرين)، ولوحى عليه السلام: (هيا يتحلى بخدر الكتاب بقوفه)، وغير ذلك.

٤٣ المعنى: كان أدائه (داعواه) رَبُّ الْآخِرِ نفحة من نفحات القدس تحدث لها في النفوس هزة، وتقع في القلوب.
٤٤ المعنى: كتمت تلقيونه بالأمين، فتقولون "محمد الأمين" وذلك لما رأيتم من شدة وفاته وعصمته عن الباطل وزنانته عن الكذب، وما علمتم في طبعه الكريم أخراها، ولا وجدتم في حلقه الشريف ثغرة، فكيف يكون الذي تشهدون بأمانته وصدقه طول حياته بما يكذب فيما دعاكم إليه، وأرادكم اليوم عليه!

٤٥ المعنى: الناطقون الضاد: العرب، لأن "الضاد" لا تقع إلا في لغتهم. الشهد: العسل في شمعه، والذائق: صاحب الندوة في فهم الكلام والخبرة بمواضعه، والفهم: صيغة مبالغة من الفهم، حيث شهـد حديثه بالشهـد في حلوته وعذوبته وانبساط النفس له، أو لفائدته وشفائه لأدواء النفوس، كما يشفى العسل من أدواء الجسم.

٤٦ المعنى: إحياء قوله القلوب: تأثيرها بمواعظه رَبُّ الْآخِرِ وتبنيها من غفلتها، وتديرها ما ينفعها وما يضرها. وإحياءه المهم إيجادها وابتعاؤها لعظام الأمور. وقد وصل قوله رَبُّ الْآخِرِ لهم أصحابه وتابعهم بالجذراء، فدانـت لهم المالـك، وذلك لهم الصعـاب، ويـسـرـ لهم فيـ السـيرـ منـ الزـمانـ ما تـعـذرـ عـلـيـ الأـزـمـانـ والأـحـقـابـ، وكـرـيمـ: عـنـىـ التـمـينـ النـافـعـ، وإـحـيـاءـ القـلـوبـ بـجـازـ عـنـ تـأـثـرـهـاـ، وـمـوتـ الـهـمـ، فـقـدـانـهـاـ.

ثم ينتقل إلى من مدحوا الرسول ﷺ، لوجهه الكريم، فيذكر منهم الإمام البوصيري، صاحب البردة، فيقول:
 لصاحب البردة الفيحاء ذي القدم^{٤٧}
 فصادق الحب يلبي صادق الكلم^{٤٨}
 ذا يعارض صوب العارض العرم^{٤٩}

المادحون وأرباب المهوى تبع
 مدحه فيك حبّ خالص وهو
 الله يشهد أني لا أعارضه من

والقصيدة طويلة جداً تبرهن على براعة منشدها، وأن هذا الإنشاد، يبتغي به صاحبه وجه الله الكريم، وليس من ورائه شهرة أو مصلحة دنيوية، وهو انتماء للإسلام بأكمله، وليس لذهب أو اتجاه معين تبناء الشاعر لنفسه، بل هو تعبير عمّا يحسّ به الشاعر من تجربة صادقة نابعة من أحاسيسه، وشعوره، وظف فيها الشاعر كل ما يملك من مهارات فنية، وإبداعية.

رابعاً: قضية الالتزام في الشعر أولاً: معنى الالتزام في اللغة

قال ابن منظور: "الفعل لزم يلزم، والفاعل: لازم، والمفعول به: ملزم، لزم الشيء يلزم لزما ولزوماً، ولازمه لزاماً والتزمه وألزمه إياه فالالتزام. ورجل لزمته: يلزم الشيء فلا يفارقه".^{٥٠}
 وجاء في القاموس المحيط: "هو لزنة كهمزة أي: إذا لزم شيئاً لا يفارقه".^{٥١}

ومن هذا، فالالتزام: مصدر من الفعل (التزام)، وهذا الفعل من مادة الفعل الثلاثي (لزم) على وزن (فعل) بكسر العين.
 أمّا عن الإلزام، فذكر الزيدي قائلاً: " والإلزام: التبكيت، واللازم: ما يمتنع انفكاكه عن الشيء. والجمع: لوازم".^{٥٢}

ومن ثم فقد أصبح الالتزام في اللغة التعلق بالشيء، والمداومة عليه، وعدم مفارقه، رغبة فيه، لا إكراهاً عليه. أمّا الإلزام، فالدعاومة فيه يصبحها إكراه وتبكيت، وعدم الرغبة يظهر هنا واضحاً.

٤٧ المعنى: تبع، مقتدون به، ذو القدم، التقدم والمنزلة، وصاحب البردة، هو الإمام محمد بن سعيد بن حماد البوصيري.

٤٨ المعنى: إن مدحه البوصيري لك لم يجر به غرض من أغراض الدنيا، ولا هو يبتغي منه غيرضاً من أغراضها، بل كان ناششاً عن حب لك وإنحصار لم تشبه شائبة، وإذا كان الأمر كذلك كان قوله منطقياً.

٤٩ المعنى: يريد أنه لم يطأول البوصيري في برده أو يقصد مساماته والتربيز عليه في بلاغة شعره ورقته نظمه، ولطف منزعه، وإن كان جاراه في رؤيه وفقيه والغرض من نظم قصيده، وهو مدح المصطفى ﷺ، انظر: المرجع السابق.

٥٠ ابن منظور، لسان العرب، مادة لزم (بيروت: دار صادر).

٥١ محمد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة لزم (مصر: مصطفى البابي الحلبي، ط٢).

٥٢ الزيدي، تاج العروس، مادة لزم (بيروت: دار مكتبة الحياة).

ثانياً: معنى الالتزام في الأدب

يأتي الالتزام في المصطلح الأدبي بمعنى: "أن يتلزم الأديب في أعماله الأدبية عقيدة من العقائد أو مبدأ من المبادئ أو فلسفة من الفلسفات"^{٤٣}. وإن كان الدكتور محمد غنيمي هلال - يرى عند حديثه عن الواقعية الاشتراكية والوجودية - أنه: "يراد بالالتزام الشاعر وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن في قضايا الوطنية والإنسانية وفيما يعانون من آلام وما يبنون من آمال"^{٤٤}. أمّا الروائي الامريكي المعاصر (نورمان مالر)، فقد فسره: " بأنه نوع من التعاقد أو الارتباط بشيء خارج الذات"^{٤٥}. وختمة المطاف أن الالتزام الأدبي، إنما يعبر عن التزام الأديب تجاه عقيدة أو فكر، أو مذهب، أو اتجاه معين؛ يدافع عنه، ويتمسك به رغبة فيه، وحبا له.

ثالثاً: الشعر والالتزام الإسلامي

وقد خلاف حاد في هذه القضية، خاصة وأنها نظرية أدبية ولدت في ظروف سياسية جديدة، وأصبحت في طليعة قضايا النقد الأدبي الحديث. ونحن لا نريد أن نطعن في الموضوع، فتوسيع من شأنه، ونبحث عن الالتزام عند الشيوعيين، والوجوديين، والرأسماليين، بهذه قضايا قد درست، ومحضت بدقة^{٤٦}. ولكننا نقف عند الالتزام الإسلامي.

لقد اختلف بعض الأدباء والباحثين، في كيفية الالتزام، هل يكون التزاما للنص والشخصية، أو التزاما للنص فقط دون الشخصية. أي بمعنى؛ هل العبرة فيما يقال، أو فيما يقول؟ أو في كليهما؟

فالذين يتذمرون النص يرون أن الإسلام رسالة عالمية لكافة البشر؛ لقوله تعالى:
﴿هُوَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ: ٢٨). فلا ينبغي أن يضيق شيء يمكن أن يتسع لكافة البشر، عسى أن يهدىهم الله سبحانه وتعالى في يوم من الأيام، فهناك كتاب غير مسلمين قد كتبوا في الإسلام كتابات قيمة، ممتعة، ومفيدة. ويرى الدكتور سعد أبو الرضا: "أن في هذا المنحى (الالتزام النص، والشخصية)، تضييقا بحال يجب أن يتسع، فالنحتاج الأدبي الذي يصدر عن الإسلام وقيمته أعلى وأشمل من أن

^{٤٣} الأستاذ ناصر بن عبد الرحمن التحنين، *الالتزام الإسلامي في الشعر* (الرياض: دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، ص ٢٧.

^{٤٤} د. محمد غنيمي هلال، *النقد الأدبي الحديث* (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع)، ص ٤٨٤.

^{٤٥} د. لويس عوض، *الاشتراكية والأدب* (بيروت: منشورات الآداب، ط ١، ١٩٦٣م)، ص ١٨٠.
^{٤٦} انظر: ناصر بن عبد الرحمن، *الالتزام الإسلامي في الشعر*، ود. محمد عبد المنعم حفاجة، *النقد العربي الحديث ومذاهبه* (مصر: مطبعة الفحالة الجديدة، ١٩٧٥م)، ود. بدوي طبانة، *قضايا النقد الأدبي* (المطبعة الفنية الجديدة، ١٩٧١م).

يختص بالكتاب المسلمين، فقد رأينا كتاباً غير مسلمين، حاولوا تمثيل هذه المبادئ فيما يدعون، وربما كان ذلك سبيلاً لهدائهم، ونذكر هنا - على سبيل المثال لا الحصر - كتاب "محمد الرسالة والرسول" للدكتور نظمي لوقا، ويمكن أن تلتقي مثل هذه الكتابات مع أدب المقالة الإسلامية، طالما كانت صياغتها جمالية، وليس في ذلك خلط بين التاريخ كعلم والأدب كفن".^{٥٧}

أما الملزمون للنص والشخصية؛ للفكر والمنهج؛ فإنهم يرون أن فاقد الشيء لا يعطيه، فإذا كان الشخص يفتقد إلى المعاير والأسس الإسلامية؛ فإنه لا يستطيع أن ينتج أو يبدع أدباً إسلامياً، كما يرون أن الالتزام واضح في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالشُّرَاعَاءِ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهْمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٤-٢٢٧).

بل إن مفهوم الالتزام الإسلامي في الشعر عندهم يرتكز على مقدمات لا بد من ذكرها:

أولاً: إن الدين الإسلامي الحنيف هو دين الالتزام بوجه عام، إذ معناه: الاستسلام لله، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك^{٥٨}، حيث قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنَ دِيَنًا مِّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ (النساء: ٢٥).

فالعبادة من قول وفعل، إنما هي لله وحده دون سواه، والالتزام بذلك وعدم مفارقته هو جوهر الإسلام وحقيقة الصادقة؛ حيث يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَإِنَّا أَوْلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (آل عمران: ٦٢-٦٣).

فالآية الكريمة: ضمت إلى الصلاة والنسك سائر ما يعمله المسلم في حياته، وأوضحت أنه عبادة كله، إذا وافق الشرع، وأن العبد يصرفه لربه، ويرجو به رحمته، فلم يستثن من ذلك الشعر أو غيره من أفعال المسلم وأقواله، وإنما جاءت الآية عامة.

ثانياً: إن المسلم - شاعراً كان أم غيره - يدين الله تعالى بأقواله وأفعاله؛ فصلاح الأقوال أو فسادها يتربّ عليه ثواب الآخرة أو عقابها، فكما أن المسلم ملتزم بحكم إسلامه ألا يقدم على فعل شيء إلا بعد التريّث والتثبت في سائر أقواله، سواء أكان

٥٧ د. سعد أبو الرضا، الأدب الإسلامي قضية وبناء (جدة: عالم المعرفة، ط١، ١٩٨٣م)، ص. ١٠.

٥٨ ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مصر)، ٧/٣٦١-٣٦٢.

شَرِّاً أَمْ غَيْرَهُ، فَإِنْ عَلَيْهِ أَنْ يلتزمُ فِيهِ بِنَهْجِ الْإِسْلَامِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ سَيُسْأَلُ عَنْهُ أَمَامُ الْمُلْكِ الْدِيَّانِ، فَإِنْ كَانَ فِي مَرْضَاهُ اللَّهُ أَقْدَمَ عَلَيْهِ، وَشَرِّ لَهُ عَنْ سَاعِدِيهِ، وَإِنْ كَانَ فِي سُخْطَهِ أَحْجَمَ عَنْهُ، وَانْصَرَفَ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ؛ وَكَذَلِكَ الْحَالُ، فِي ثَابَ عَلَى الْخَيْرِ وَيَعْاقِبُ عَلَى الشَّرِّ، وَالْأَدْلَةُ مِنَ الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ؛ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُنَّا أَئِلَهٌ لَّهُمْ أَمْنَوْا أَتَقْوَاهُ اللَّهُ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَحْزَابُ: ٧٠-٧١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُمَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلِ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (قُرْآنٌ: ١٨). وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ يَوْمٌ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسْتِنْتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النُّورُ: ٢٤).

ثَالِثًا: إِنَّ الْكَوْنَ الْمُنْظَرُ - مَا بَدَا مِنْهُ وَغَابَ - مِنْ سَمَوَاتٍ وَأَرْضَينَ، وَمَا فِيهِنَّ مِنْ جَبَالٍ وَأَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ وَبَحَارٍ وَلَيْلٍ وَنَهَارٍ، لَا تَفَرَّ عنْ تَسْبِيحِ اللَّهِ، وَلَا تَنْفَكُ عَنْ تَنْزِيهِهِ، عَلَى حَدِّ وَصْفِهِ سَبَحَانَهُ لَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الْإِسْرَاءُ: ٤).

وَكَمَا أَنَّ الْمُسْلِمَ يَدِينُ اللَّهَ بِالْإِسْلَامِ، فَكَذَلِكَ سَائِرُ الْمَخْلُوقَاتِ مُسْلِمَةٌ لِهِ سَبَحَانَهُ مِنْ قَادِهِ لِأَمْرِهِ، إِذَا أَرَادَ شَيْئًا: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (الْبَقْرَةُ: ١١٧). فَوَافَقَ الْمُسْلِمُ فِي وَجْهِهِ سَنَةَ الْكَوْنِ وَفَطَرَتْهُ، فَالْجَمِيعُ مُسْلِمٌ لِلَّهِ، مُلتَزِمٌ بِذَلِكَ لَا يَبْغِي عَنْهُ حَوْلًا^٦. وَهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَغَيْرُ دِينِ اللَّهِ يَعْgُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾.

إِذْنَ فَالشَّاعِرِ الْمُسْلِمِ لَمْ يَكُنْ بَدِعًا فِي التَّرَامِمِ، وَلَيْسَ غَرِيبًا بِهَذَا الْالْتَزَامِ، وَإِنَّمَا هُوَ مُوَافِقٌ لِسَنَةِ اللَّهِ فِي الْحَيَاةِ، وَإِذَا جَاءَ تصْوِيرُ الشَّاعِرِ لِوَقْعِ الْأَشْيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ خَالِلٍ هَذَا الْمَفْهُومُ، وَذَلِكَ التَّصْوِيرُ الَّذِي مَكَّنَهُ الْإِسْلَامُ مِنْ نَفْسِهِ وَأَوْقَعَهُ فِي قَلْبِهِ، فَلَا رِيبُ فِي أَنَّهُ هَذَا هُوَ الْالْتَزَامُ بِعِينِهِ، وَهُوَ يَبْثِقُ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ وَعَقِيْدَتِهِ، وَمِنْ رَغْبَةِ الشَّاعِرِ الْمُسْلِمِ فِي مَرْضَاهُ خَالِقِهِ وَطَمْعِهِ فِي ثَوَابِهِ وَخَشْبِيَّتِهِ مِنْ سُخْطَهِ وَعَقَابِهِ، ثُمَّ لَا يَضِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ شَكْلَ شَعْرِهِ أَوْ صُورَتِهِ، مَا دَامَ الْمُضْمُونُ حَقًا، أَوْ عَلَى الْأَقْلَلِ لَمْ يَكُنْ فَسَقاً، بَلْ إِنَّ اتِّقَانَهُ لِفَنَّهُ الشَّعْرِيِّ وَتَحْبِيرِهِ إِيَّاهُ وَإِبْدَاعِهِ فِيهِ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ إِسْلَامُهُ، وَيَقْرَبُهُ إِلَى اللَّهِ زَلْفِيٌّ؛ فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "إِنَّ اللَّهَ يَحْبُبُ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمُ الْعَمَلَ أَنْ يَتَقْنَهُ".^{٦٠}

^{٦٠} أَبُو الْأَعْلَى الْمَوْدُودِيُّ، مِبَادَىءُ الْإِسْلَامِ (بَيْرُوت: مَؤْسَسَةُ الرِّسَالَةِ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، ص. ٤٠.

^{٦٠} انظر: الشِّيخ إِسْمَاعِيلُ الْعَجْلُونِيُّ، كَشْفُ الْخَفَاءِ وَمَزِيلُ الْإِلَبَاسِ، تَصْحِيفُ أَحْمَدَ الْقَلاَشِ (حَلْبَ)، رقم ٧٤٧، ١٨٤-١٨١. وانظر: نَاصِرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، الْإِلْتَزَامُ الْإِسْلَامِيُّ فِي الشِّعْرِ، ص. ١.

إنني - دون شك - اختلف مع الكاتب لإهماله قضية الشكل، فالشعر الإسلامي إبداع في الشكل والمضمون، فالمضمون لا بد أن يصحبه قالب فيي بديع مبدع، يتغنى بقيم الإسلام وتصوراته عن طريق الكلمة المبدعة الموحية، وعليه فإن جمال الشكل وروعة التصوير ضرورة تقتضيها الكلمة الطيبة، التي أشار إليها القرآن الكريم: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلْمَةً طَيِّبَةً كَسْجَرَةً طَيِّبَةً أَصْلُهَا ثَابَتْ وَرَعْدَهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتَنِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبَّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (إبراهيم: ٢٥).

فالأدب الإسلامي ليس ذلك الوعظ والإرشاد المباشر، وإنما خرج من دائرة الأداب الرائعة الخالدة التي سطّرها التاريخ بأحرف من نور. إذاً فالأدب الإسلامي فمن رائع سام، لأنّه يقتبس نوره من الإسلام الذي أشّرت بنوره الأرض والسماء.

أرى أن قضية الالتزام بالنص قضية مرحلية - في الأدب الإسلامي الحديث - لا بد منها الآن، تليها مباشرة قضية التزام النص والشخصية معاً، وذلك بعد أن تتضح الرؤية، وتبلور الصورة، وتتكامل النظرية من جميع أطرافها وأجزائها، وتحشد النصوص الأدبية الرائعة التي تعبر عن أدب إسلامي مبدع، وإبداع إسلامي رائع، من روح وشخصية تنبض بالإسلام، وتلتزم بعبادته، انتماء، ووعياً. عندئذ نستطيع أن نرفع شعار الالتزام بالنص والشخصية دون تردد أو رجوع.

خامساً النتائج:

١. لا يمكن فصل الأدب عن العقيدة، لأن كليهما يخدمان هدفاً واحداً، وهو الإنسان والمجتمع.
٢. بينما أن الإطار الإسلامي للأدب والشعر العربي، هو الحل الأصوب لدراسة أدبيات العصور المختلفة.
٣. شرحنا وجه الخلاف في قضية الالتزام، ورأينا أن الالتزام بالنص دون الشخصية، قضية مرحلية لا بد منها الآن، حتى تتوفر النماذج الإسلامية الطيبة، التي تلتزم فيها النصوص بالشخصية الإسلامية الملتزمة في صورة تكتمل فيها جوانب النظرية.
٤. استفدنا من منهج وأفكار "آدم كيرل"، عن ذاتية الانتماء والوعي، وطبقنا ذلك على الأدب العربي الحديث، ضمن إطار إسلامي.
٥. أكدنا أن موقف الإسلام من الشعر واضح جداً، فهو يتمسك ويشيد بالشعر الذي يندرج تحت إطار التهذيب، وحسن الأخلاق والحكمة، ولا يخرج عن الإطار الذي رسمه الإسلام.

سادساً التوصيات:

نوصي بمراجعة مناهج الأدب العربي لمختلف المراحل، وخاصة المراحل الجامعية، بحيث تشيع في هذه المناهج الروح الإسلامية، التي تعمل على تنقية الأدب من الدخيل، تحت مجهر إسلامي، والاستفادة - ما أمكن - من المناهج الغربية الحديثة والمعاصرة، ضمن إطار إسلامي.